محطّات عبور
نصوص أدبية
أشرف البربري
مراجعة: د. حسن كحلاف
دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني 2019

محطّات عبور

نصوص أدبيّة

أشرف الزبيري

مراجعة لغويّة: ذ. حسن كشاف

دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني

البريد الإلكتروني

kesasandhekayatpub@gmail.com

موقع الدار

https://kesasandhekayatpub.blogspot.com/

للتواصل عبر ماسنجر صفحة الدار

m.me/kesasandhekayat

فريق عمل الدار

أ. رمضان سلمي برقي

أ. حسن كشاف

أ. هشام وهبي

العنوان: محطّات عبور

النوع الأدبي: نصوص أدبيّة

المؤلف: أشرف الزبيري

التدقيق والمراجعة: ذ:حسن كشاف

اللغة: فصحى

التنسيق الداخلي والإخراج: فريق الدار

تصميم الغُلاف: فريق الدار

سنة النشر: 2019

الحالة: حصريًا

رقم الطبعة: 1

رقم الكتاب بالدار:17

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني2019

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

الصفحة الجروب الموقع

إلى كل إنسان، هو إنسان بالإحساس والفعل.

إلى كل إنسان تشتعل روحه لهيبا ولم ينطفئ بعد.

إلى كل من تعامل مع القراءة كوجبة أكل، كلما شعر بالجوع قرأ بشراهة.

أشرف الزبيري

فهرست النصوص

الصديق قبل الطريق ٨

ربط السعادة بالمال ربط خاطئ ١٠

المنعزلون ليسوا مرضى ١٣

التسويف يقتل ١٦

جنون الحب في السقوط الأول ١٨

من يبكي في البادية يضحك في النهاية ٢٠

الوحدة المريحة ٢٢

الموت في النهاية ٢٤

لا ذنب للوطن ٢٦

مَلَل ٢٧

كن في المنتصف ٢٨

ولادة ٢٩

سخرية ٣٠

يوم واحد في الجحيم **٣١**

لا تنخدع **٣٣**

وهم المتكبرون **٣٥**

القلق يقتل الحياة **٣٧**

قبل أن تعطي حكم قيمة إسمع **٣٩**

الوهم فقط في عقولنا **٤١**

نبذة عن المؤلف **٤٣**

الصديق قبل الطريق

لا حزن بعد اليوم، هاته الكلمة كان يقولها لي أحد الأصدقاء في كل لقاء كان يجمعنا، هو الوحيد الذي كان يقرأ الحزن في عيني، ويقرأ الوجع في صمتي، فكان يقول لي: "في عينيك حزن، وفي صمتك وجع " فهلاَّ ابتسمت "فكان يضرب على كتفي ويقول لي هيا يا رجل إني أسمع" فكنت أجد نفسي مسترسلا في الحديث دون انقطاع وهو ينصت ويسمع، حتى إذا ما انتهيت ضرب على كتفي وقال: "صاحبي أنت لم تُخلق دجاجة كي تنال منك الأحزان والأوجاع!" فيُلقي على مسامعي نكتة ودُعابة تجعلني أتمرغ في الأرض ضحكا فأنسى حزني ووجعي وتبتهج سريرتي وتهدأ روحي.

مرة سألته على غفلة منه، ما الذي يجعلك تصادق شخصا يقضي طول أيامه عبوسا صامتا مكتئبا متشائما؟

كانت إجابته صادمة، جعلتني أعيد النظر في مفهوم العلاقة بل الصداقة والأخوة، وأحذف تلك الصورة التي تركزت في مخيلتي وعلقت من خلال بعض التجارب

الحياتية الفاشلة. قال لي : "إن ما يجعلني أصادق شخصا مثلك هي روحك الطيبة، شخصيتك الرائعة، النور الذي يشع من داخلك، ولا يهمني أية نقيصة من النقائص، إنما نحن هنا لنساعد بعضنا البعض وأنا هنا من أجلك؟

شعرت بالدموع تسيل من عيني تباعا، فلم أستطع أن أكتم مشاعري الجياشة تجاه هذا الموقف الذي كان يبدو لي كحلم، فلم أشعر بنفسي حتى عانقته، وسقطنا نبكي معا وهو يهمس في أذني " تبكي كطفل صغير يا دجاجة " ثم تحولت الدموع للضحك.

جعل موقف هذا الصديق وجواب هذا الصديق مني شخصا آخر، وبِتُّ أتساءل مع نفسي كيف له أن يحبني وأنا في عز أزمتي؟! نعم لقد تحملني كما أنا، وأنا الذي لم أقدم له شيء غير البؤس والحزن وهو في غنى عن هذا. لقد أحبني كما أنا، مبتور اليدين، عاجزا عن الحركة، على وشك الغرق، فاهتديت للجواب أن الروح الطيبة تجد لأختها السبيل وأن الشخص الذي يحبك في أسوأ حالاتك سيحبك في جميع الظروف لا يتغير بتغير فصول السنة، وأن الله يضع في طريقك شبيهك.

فليست الصداقة بطول السنين، ولا العبرة بكثرة الأصدقاء، العبرة فيمن سيحبك في أزمتك، وفي سقوطك، وفي فشلك، ومن سيقدم لك العون وأنت على وشك الغرق حينما لا تجد أي يد.

ربط السعادة بالمال ربط خاطئ

لطالما سمعت أن السعادة تكمن في امتلاك الكثير من المال، الكثير حتى لتشعر وأنت داخل لبيت مليئ بالبلايين من العملات النقدية والذهب أنك ما زلت تريد الكثير، وأن رغبتك تزيد وتفوق ما تملك، وأنك تمتلك العديد من السيارات الفاخرة التي تساوي الملايين؛ آخر صيحات السوق، وتقتني الملابس الفاخرة آخر صيحات الموضة، بل أن الشركة تصنع لك المنتوج تحت الطلب خصيصا لك ووفق هواك، وأنك تسكن في قصر شاسع جدا مليء بالأشجار النادرة والأزهار المستوردة من كل بقاع العالم، ولك حراس وخدم في كل مكان بإشارة واحدة يهرعون عندك ليخدموك، وتقضي العطل متجولا بين قارات العالم مستمتعا بسحر الطبيعة الآخاذ، التي لا يستطيع أن يزورها إلا عدد محدود من الناس، هم أغنياء العالم، فتشعر وأن رغباتك استنفذت بالكامل فتبدأ بصرف المال على أشياء تافهة قد لا تحتاج إليها.

من منا لا يمتلك هاته الأحلام في مخيلته، والتي تأخذ من يومه حيزا مهما من التفكير، هي بمثابة أحلام يقظة تطارد كل واحد منا في خلوته، وفي استيقاظه، وفي

نومه، كل واحد منا يرى بأن المال الكثير، الكثير جدا حتى أنك لا تمتلك الوقت ولا القدرة لإحصائه؛ هو المبتغى والسعادة الكلية التي لا يضاهيها أي شيء آخر.

صحيح بأن المال هو وسيلة مؤدية للسعادة، وليس بمقدوره أحد إنكار ذلك سوى زاهد في الحياة، انتهت حياته كليا واستنشق دخان الموت، إلا أن السعادة ليست مقرونة بالمال اقترانا كاملا، بل هي تأخذ حيزا مهما، لكنها لا تأخذ كل الحصة.

"علي بنات" من منكم لا يعرفه؟ الشاب الأسترالي الذي كان يملك الكثير من المال، يملك كل شيء ليسافر عبر العالم ليلهو ويمرح، ليشتري كل ما تهواه نفسه، ويركب في أفخر السيارات، كان المال وسيلته لتحقيق أي مبتغى، وذلك بلا أدنى شك كان يُشْعره بالسعادة، لكنه لم يكن سعادته الكلية، لتأتي نقطة التحول الكبرى في حياته، وهي ابتلاؤه بمرض السرطان فجأة بلا إنذار ولا مقدمات، شاب يافع فتي مازال العمر كله أمامه، يمتلك كل مقومات الحياة، المال الكثير، والجاه وكل شيء، لتنقلب حياته رأسا على عقب، حينها توصل ٤لى أن المال ليس هو كل شيء، بل أن هناك أشياء أهم من المال، وهي التي تحقق التوازن الحياتي والنفسي وهي التي تنفع في الأبدية، معرفة الله وعبادته والاستسلام بين يديه، لقد اهتدى لسعادته وهو في عز أزمته الصحية، بل أن تلك الأزمة هي من قادته إلى الله، فامتلك صبرا رهيبا وهو يقاوم السرطان، واغتنم ما بقي له من حياة في السفر للأدغال الأفريقية بنفسه، والتصدق

بكل ماله وبناء المستشفيات والمدارس والمساجد ومعانقة الفقراء والأطفال وزرع البسمة في وجوههم، فكانت تلك سعادته التي كانت تجعله يبتسم وهو يعلم أنه لن يعمر طويلا، فكانت سعادته التي جعلته يوقن ويتوق للقاء الله وهو يبتسم ويذكر الله والموت يخطف روحه.

المنعزلون ليسوا مرضى

الصامتون، المنعزلون الذين يفضلون قضاء وقت طويل مع أنفسهم، الذين يحدقون مطولا في الفراغ، الذين لا يتكلمون إلا قليلا، هؤلاء ليسوا بالضرورة معقدين ولا مرضى نفسانيين كما يزعم البعض، فالتجارب الحياتية سواء الفاشلة منها أو الناجحة، المكسرة أو الصامدة؛ هي ما تجعل الشخص يميل للعزلة، والاكتفاء بذاته، والتعايش مع أفكاره، وذلك لما يلاقيه من الرفض والخذلان وعدم الفهم لشخصيته. فالمنعزل ليس بمريض وجب السخرية والتندر منه، أو الإشفاق عليه ونعته بنعوت بذيئة وغريبة، إن المنعزل يحمل داخله أفكارا وتحليلات ومواهب وإبداعات مبهرة، إنه يعيش ويتعايش يرى ويشاهد يحلل ويتفاعل مع نفسه ومع أفكاره، ويميل للكتمان وكتابة خواطره وكل ما يشعر به في مذكراته الطويلة.

لقد كان لي صديق ميَّال للعزلة والوحدة، يجلس وحيدا في الفصل الدراسي، لا يكلم أحدا ولا يشارك في الفصل إلا مكرها حينما يطلب منه الأستاذ ذلك، فيبدأ بالتلعثم ويحمر لون سحنته ويتعرق كأنه خرج من حرب للتو، فكان التلاميذ يتندرون

منه ويضحكون ويسخرون منه، وينعتونه بالمعقد والمريض والدجاجة، كان ذلك يؤلمه أشد الألم، وكنت ألاحظ ذلك، حتى أنه في فترة الاستراحة يتكئ على سور منعزلا، ويشرع في البكاء كأنه طفل صغير، لقد آلمني منظر كهذا، وكنت أتساءل في نفسي: يعلم الله معاناته وحروبه النفسية ؟ ومع ذلك يزيدون في الضغط عليه والسخرية منه، يا لا قساة القلوب! وأخذت عهدا على نفسي بأن أحاول التقرب منه، وأتقصى أخباره، وأعرف حقيقته.

لقد ظن في الأول أني جئت لمعاكسته والتندر والسخرية منه، فقد تحاشى أن ينظر إلي وهمً مغادرا، إلى أن أوقفته وقلت له " جئت كصديق ولست من أولئك الحمقى " وبعد مدة وجيزة صرنا أصدقاء حميمين، وأطلعني على العديد من أسراره وقد تعجبت لحاله ومعاناته التي تسببت في انطوائيته وهروبه من التجمعات وصمته المطول، فقد كان مشكل انفصال والديه عن بعضهما البعض المشكل الأبرز ومعاقرة أبيه للخمر وزواج أمه من رجل آخر، لقد تألمت حقا لقصته ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أعانقه وأبكي بشدة، وأقول في نفسي: "في قلب كل شخص حرب مشتعلة، والإنسان لا يرحم".

لقد أعطاني هذا الشخص درسا، وجعلني أعيد النظر في الكثير من تصرفاتي تجاه الناس، كي لا أسبب الأذى لإنسان بمعاملاتي أو سلوكياتي وبكلامي أو بنظراتي،

وأكون حذرا كل الحذر في أي تعامل مع أي شخص كيفما كان، وأتعامل بمبدأ وحيد فوق كل اعتبار؛ مبدأ الإنسانية، أي أن أكون إنسانا فقط.

التسويف يقتل

في كل ليلة أضع فيها رأسي على الوسادة أعاهد نفسي بأن أتغير للأحسن، أنام فأصبح شخصا آخر، شخص أكثر مسؤولية تجاه نفسه، فأغير من عاداتي السلبية نحو عادات إيجابية، أستيقظ في الصباح لأبدأ يومي بالنشاط والحيوية والتفاؤل، موزعا ساعات اليوم حسب تخطيطي المسبق في أشياء مهمة، غدا سأبدأ الدراسة والمذاكرة، غدا سوف أشرع في تعلم لغة جديدة، غدا سوف أبدأ بممارسة الرياضة، غدا سأكف عن هذا التفكير السلبي وسأكون أكثر إيجابية، غدا سأكف عن هذا السواد وسأبتسم في وجه كل من أقابله، وسوف أتحكم في غضبي وأغير من أسلوبي في التعامل والتواصل، غدا سأكون شخصا آخر لدرجة أني سأجد صعوبة لمعرفة الشخص الذي كنت عليه سابقا، غدا سأقتل شخصيتي القديمة وأولد من جديد.

من منا لا تعاكسه هذه الأفكار وتقتحم خلوته كلما وضع رأسه على الوسادة، يبحث عن غمضة جفن، إنها أفكار تفرض نفسها بقوة عند مغيب الشمس وتختفي عند الشروق.

إن في داخل كل إنسان رغبة في التغيير سواء أظهرها أو لم يظهرها، سواء عمل عليها أو لم يعمل، فقط التسويف هو من يقتلنا من الداخل يقتلنا بكل براعة. لقد مر الوقت كوميض البرق، إن الأيام والشهور والسنوات تمر تباعا كأنها سحابة وتسحب معها كل أمانينا وأحلامنا وتطلعاتنا، وكأنها على يقين تام بزيف رغبتنا وخداعنا لأنفسنا، إننا نخدع أنفسنا كل يوم ونقتل كل تأنيب للضمير باللامبالاة الغريبة، كأننا اكتفينا من العيش وعشنا ما يكفي، فقبل سنوات كنت أرسم وأخطط حياة مغايرة للتي أرى الآن، نعم سوف أصبح كذا وكذا.. وسوف أتعلم لغات جديدة وأطور من قدراتي المعرفية، وأحسن لياقتي الجسمانية، نعم كنت أقولها كل ليلة حتى تمتلكتني رغبة قوية في أن أحلق كعصفور، فأشعر حينذاك بأنني أسعد شخص على الكرة الأرضية، ولا يفصل بيني وبين أحلامي سوى سور من زجاج، ترى أين تذهب كل تلك الطاقة عند شروق الشمس، ولا نتذكر من تلك التخطيطات وتلك القوة سوى السراب.

لقد اهتديت للجواب، حينما سألت صديقي الناجح جدا في حياته، سواء حياته المهنية أو الشخصية، لقد لخص لي الأمر كله في التنزيل والالتزام فقط، فلا يكفي أن تخطط إن لم يكن هناك تنزيل على أرض الواقع، والتنزيل يحتاج للالتزام والمواظبة اليومية، أن تفعل كل يوم ما يجب فعله دون تأخير ولا مماطلة ولا تسويف.

جنون الحب في السقوط الأول

من منا لم يحب في حياته ولم يسقط في جب الحب، السقطة الأولى غالبا ما تكون بريئة وصادقة نستهلك فيها كل مشاعرنا ونُجَيّشَ كل الحواس من أجل أن نعبر عن خوالجنا وعن الطاقة الهائلة من الحب الكامنة داخل أرواحنا، نعم إنه الحب الذي يجعلنا نبدو كأطفال صغار أحيانا وكأشخاص مسؤولين وناضجين في أحايين أخرى، إنه الحب البريء المجنون الذي يجعلك تكتب مئات الرسائل في المذكرة، وتدس رسالة خفية في محفظة المحبوبة، إنه الحب الذي يجعلك تتلعثم وتخجل عند كل لقاء، فتحس كأن لسانك مكبل وعاجز عن الحركة، إنه الحب الذي يُغيِّب عن جفننا النعاس، الحب الذي يجعلنا نحلم بعوالم أخرى.

حينما كنت مراهقا في المرحلة الإعدادية، أحببت فتاة كانت تدرس معي في نفس القسم، لقد أحببتها بدون سابق إنذار، فقد أحسست فجأة بأني أشعر بشيء تجاهها، بشيء غريب حقا، كتبت لها رسالة مجنونة كأني المتيم عنترة بن شداد، رسالة مليئة بالحب والعشق والانجذاب والحزن والأسى، مازلت أذكر أني استشهدت لأعبر لها

عن الحب الذي وصل إليه هيامي بقصة الطائر الذي سقط في حب الوردة، القصة الحزينة التي انتهت بموت العصفور، مازلت محتفظا بتلك الورقة كلما قرأتها إلا وضحكت أشد الضحك وسخرت من نفسي، وأحيانا أتحسر على تلك الطاقة الهائلة من الحب التي كنا نمتلكها آنذاك في تلك الفترة ولم تعد بحوزتنا الآن.

من يبكي في البادية يضحك في النهاية

"هذا النص مُهْدى لصديقي عماد"

من منا لم تكسره الحياة، من منا لم تشربه الحياة كأس العلقم، من منا لم يذق طعم الانكسار، والحزن، والأسى، والفشل.. من منا لم يجرب الخذلان، من منا لم يجرب فراق الأحبة للأبد.

"ذات صباح بارد، اتصل بي صديقي ليعلمني بأن لائحة الناجحين في الماستر باتت متوفرة، ملكني آنذاك خوف رهيب من تصفح اللائحة التي باتت بين يدي، وأنا أتصفح اللائحة الصغيرة بأيدي مرتعشة وقلب مضطرب ينبض بسرعة، عند كل رقم لا أجد اسمي ضمن اللائحة يرتفع ضغط الدم، رباه! لقد انتهت اللائحة ولم أجد اسمي لتكون الصدمة أن اسمي في قائمة لائحة الانتظار رقم ثلاثة، شعرت برغبة قوية في البكاء، وبرغبة أخرى في الانزواء، لكنني بعد إلحاح الأصدقاء قلت: ربما يُكْتَب لي الخير، وقد تكون هنالك مناصب شاغرة، وخصوصا أنني سمعت بأن صديقين حسما أمرهما في عدم رغبتهما في متابعة دراستهما في هذا الماستر، مفضلين التسجيل في مدن أخرى، بدأ التسجيل وبدأ الطلبة بالتوافد على مصلحة التسجيل وأنا كلي قلق

واضطراب، تخلف لحد ما قبل الدقيقتين عن انتهاء التسجيل ثلاثة طلبة ما يعني أنني سأكون المعوض الثالث، طلب مني الأستاذ أن أستعد لأضع ملفي حالما تنتهي الدقيقتين إن لم يحضر المعني بالأمر، بقيت فقط دقيقة واحدة ليظهر الطالب المعني ويضع ملفه، ويقضي على حلمي بضربة واحدة، شعرت برغبة قوية في البكاء، تمالكت نفسي لم أشأ أن أضعف أمام بعض الأصدقاء الذين ساندوني ولو بالكلمة إلى أن خرجت لمكان ما واتكأت على سور وبكيت بشدة، نعم لقد بكيت، يقال بأنه على المرء في أسوإ حالاته ألا يفعل شيئا سوى أن يبكي بشدة، نعم بكيت كطفل صغير، مرت الأيام والشهور ولملمت جراحي وأعددت العدة لموسم جديد بدافع وطموح كبيرين، وقد كانت المفاجأة أن اسمي كان من ضمن الأوائل، لا لائحة انتظار ولا تأجيلات لحلم أصبح حقيقة".

لقد تعلمت من قصة صديقي هذا الصبر والمثابرة والالتزام، والقدرة على إعادة الروح للنفس وشحذ همتها، وأن الضربة القاسية تكون أحيانا هي منطلق حلم مجنون، وأن لا حياة بدون صعاب وفي التحديات تظهر شخصية المرء الحقيقية، وأن الذي يبكي في الأول سيضحك في الأخير حتما.

الوحدة المريحة

الوحدة قاسية جدا ومتعبة، لكنها أفضل من وجود يطبعه الزيف والنفاق والتلوُّنُ، أحيانا أشعر وكأنني حر في وحدتي، لا شيء يقيدني؛ لا وعد، ولا عهد، ولا تكلف، ولا مجاملة، ولا معروف ملزم بتقديمه.. أشعر بأني حر جدا، وسعيد جدا لأنني لا أنتظر شيئا من أحد، لا أنتظر اهتماما، ولا حبا، ولا عطفا، ولا شفقة، لا شيء، لا أحد يعكر صفو لحظتي، ولا أحد يقتحم خيالي، ولا أحد يزعجني، ولا أحد سيلومني إن أنا لم أجب على اتصال، أو لم أحضر مناسبة معينة، أو أنني لم أسأل سؤالا تافها.

أكتب نصا رديئا في مذكرتي، ثم آكل قطعة حلوى باردة، صنعتها أمي في حفلة ميلاد أخي الصغير الذي يبلغ ثمان سنوات ثم أنام، هذا ما أفعله كل ليلة.

لطالما كنت أخاف الوحدة والعزلة، أخاف أن أكون وحدي أو أظل وحدي، كان عندي قلق بهذا الشأن، أخشى رحيل الأحبة ورحيل الأصدقاء، حتى أني كنت أبادرهم السؤال وإن لم يسألوا، أبادر للصلح وإن كانوا هم المخطئين في حقي، لا لشيء إلا

لأني أخاف أن أظل وحدي، رابطا عالمي ووجودهم، أما الآن من بعد ما جربت الألم والخذلان تعلمت كيف أكون وحدي وأعتمد على نفسي صانعا عالما خاصا بي أستعمل فيه الألوان التي أريد.

الموت في النهاية

سيكون الموت ملاذنا النهائي، نعم سنموت تاركين هذا العالم الواسع، محملين ومثقلين بالذنوب والخطايا والوجع، بصرخة إنسان فينا لم يعش، إنسان كبحناه، وقمعناه، ثم منعناه من البروز والظهور، ذاك الإنسان الذي كان سيحب الجميع دون استثناء، وسيبتسم في وجه الجميع بلا تصنع، ويزرع الحب في كل مكان بدل الحقد والكراهية، آه كم نحن سذج لدرجة تثير السخرية! هذا العالم الذي نعلم أننا سنغادره في أي لحظة ومع ذلك يزيد كل يوم غرورنا، وترتفع أنفتنا للسماء، مظهرين أسوء نسخة فينا مغيبين أحسنها، في النهاية سنكون على السرير عاجزين أمام الموت نقول له : أيها الموت أمهلنا لحظة لدنا دين، أيها الموت أمهلنا ثانية لنحب الجميع، أيها الموت أمهلنا لنصلي ركعة، أيها الموت أمهلنا ثانية لنفجر طاقة الحب الكامنة داخل أرواحنا، أيها الموت أمهلنا ثانية لنبكي فقط.

وأنت تنظر لوجوه المحدقين بعين الأسى والندم والحب، وتود أن تقول لهم صلوا كثيرا، سبحوا واسجدوا، أحبوا الجميع، حققوا أحلامكم، زوروا بعضكم البعض، كونوا

إنسانيين، ويقترب منك الموت أكثر فأكثر وأنت تحدق في السقف والدمعة منحصرة في عينيك، ثم تنام للأبد كأنك لم تكن يوما، حاملا معك كل أثقالك وأعبائك لعالم آخر، سيكون موطنك قبر ضيق وأنت الذي كنت تحتقر مساكن الفقراء، ستكون طعما للدود وأنت الذي كنت تتحاشى أن يلمسك فقير معدم.

لا ذنب للوطن

كان يعاني الأمرين حتى أنه كان يتلوى من شدة الألم، كان ينظر إليه الطبيب بعين حادة مفروغة من أي عاطفة وهو يقول: "الأداء ثم العلاج! نحن لسنا جمعية خيرية، المال ثم العلاج! عصابة من حرس المستشفى رَمَوْهُ خارجا مستعرضين عضلاتهم في مواجهة جسد رجل عليل.

هرق دمعه على الرصيف حتى خارت قواه، وضاقت نفسه ورأى أن الأرض أرحم من هؤلاء القساة، كفكف دمعه واسترجع شريط الذكرى، كيف أنه وقف سدا منيعا أمام المستعمر يدافع ببسالة عن وطنه الأم، وتذكر عزف النشيد الوطني المحفور في الدم، ثم مال على جنبه الأيمن وهو يردد: هنا وطن قتل أولاده..؟! هنا وطن قتل أولاده..؟! ثم خارت قواه للأبد.

هناك من يصنع وطنا، ليعيش فيه الجميع، وليتسع للجميع، وهناك خونة يستغلون هذا الأمر ليقتلوا كل شريف باسم الوطن.

مَلَل

وسيصل بي الأمر يا صديقي أن أجلس ممددا على السرير أنظر لصورتي تنزف...

دماء..! دماء..!

وأبلغ الشرطة:

ألو الشرطة..!

نعم سيدي...

هناك انتحار..؟

ماذا..؟!

شربت كأسين من الوجع...

كن في المنتصف

لكي لا تكون صدمتك مضاعفة يجب أن تدرك منذ البداية أنه لا عكاز لك حينما تكسر إحدى يديك أو كلاهما، فالعكاز الوحيد الذي لن يخذلك هو حقيقتك الداخلية وإيمانك القوي الذي يملأ روحك.

دائما ما نعطي حجما مهولا للعلاقات فنرفع سقف توقعاتنا للأعلى، ونحدد كل خياراتنا في شخص معين كأنه ملاك جدير بالثقة العمياء والحب، مرتكبين خطأ فادح، فتكون صدمتنا مضاعفة، يصعب التداوي منها وكأنه غائر جرح يصعب رتقه.

كل شيء نسبي، العلاقات نسبية، فكلما كان تعلقنا بشخص معين قويا إلا وكانت صدمتنا بنفس القوة.

على الإنسان أن يكون في المنتصف، فلا هو متعلق للحد الذي يتأذى فيه، ولا هو مبتعد كليا كي لا يؤذي.

ولادة

أريد أن أخبر الجميع أنني حي

ولمن كانت تلك الجثة..؟

لإنسان قديم..

أما أنا فقد ولدت للتو..

سخرية

زراني الحزن الليلة

شربنا حتى الثمالة

وقد بدا حزينا للغاية

كانت تظهر عليه علامات الكآبة

وباح لي بكل أسراره الحزينة..

يوم واحد في الجحيم

لقد علمت البارحة أني مت وكانت جنازتي مهيبة بالصمت..

لا أحد مشى في جنازتي، لا الأهل ولا الأصدقاء، كلهم تخلفوا..! مشيت لوحدي بلباس أبيض نحو المقبرة، المقبرة التي خطفت ملايين الأرواح دون أن تمنحهم فرصة واحدة للعيش، كنت أصرخ بشدة لا تتركوني لوحدي أخشى الظلام! لا أحد يسمعني بالرغم من أني أسمعهم وأتحسسهم.

ساقني رجال غلاظ شداد، كانوا يلبسون وزرات بيضاء، لم أكن أستطيع رؤية وجوهم من كثرة التوهج، أجلسوني على كرسي، وبدأوا باستنطاقي وطرح الأسئلة علي، كنت أتلعثم في الإجابة، وأحيانا لا أستطيع، فأجيب لا أعلم، بعد الانتهاء من طرح الأسئلة أعطوني كتابا عليه اسمي، فتحته بسرعة، السنوات والشهور والدقائق والثواني كل شيء مسجل هنا حرفيا، الأحداث الوقائع، الأقوال، السلوكيات، وكل شيء، حتى الأحاسيس والمشاعر، شعرت بخوف شديد وأنا أقرأ كتابا مليئا بالأحداث السيئة، كان

أسودا منذ بداية الصفحة الأولى حتى النهاية، فعلمت أنها النهاية، وتمنيت بصدق لأول مرة أن أعود للحياة من جديد لأكتب فقط صفحة جديدة بشيء جيد، تمنيت لو أستطيع أن أنكر كتابي هذا، لكنني لم أستطع، تمنيت لو بإمكاني أن أمزقه لكنني كنت عاجزا عن فعل أي شيء، نادى صوت: سوقوه إلى لنار بعدما اطلع على كتابه، أردت أن أصرخ: كلا..!؟ أعطوني فقط فرصة فرصة واحدة.. لكنني أحسست لأول مرة بأن لساني عاجز عن الحركة، ثم استيقظت على وقع صراخ، تحسست نفسي، هذا أنا، ثم نظرت في كل أرجاء الغرفة هذه غرفتي، إذن أنا ما زلت على قيد الحياة، نظرت للمنبه رباه إنها الساعة التاسعة ليلا تأخرت عن الحفلة.

لا تنخدع

الدنيا تخدعنا، تخدعنا الحياة أحيانا، وتضحك لنا فيتكون بداخلنا غرور يجعلنا ننسى من نحن، فنستقوي على الآخرين فنبطش ونظلم ونسرق حقوق الناس، نتغول كأننا خالدين لا أحد يردعنا، ولا أحد بإمكانه أن يوقفنا عند حدنا، نقف أمام المرآة معجبين بأجسادنا المفتولة أو بمالنا الوفير، أو بقبح سيرتنا التي ترعب الخصوم وكل الناس، نتفنن في تعذيب من هم أقل منا، ونحتقر الفقراء المعدمين، ونستغل كل النفوذ من أجل أذية الآخرين، تمر الأيام والسنوات تباعا، فتأتي لحظة من اللحظات وهي مرحلة لابد أن تأتي، حيث يُدْفَع الثمن، كل ما زرعناه سنحصده، زرعنا البؤس في وجوه الناس، وزرعنا الرعب في قلوبهم، سرقنا حقوق الناس، وتكبرنا وتجبرنا، وأحسسنا في لحظة أن لا أحد فوقنا، ونسينا دعوات المظلومين وأنين المقهورين في الثلث الأخير من الليل.

وجاءت لحظة دفع الثمن قعدنا على السرير مرضى لا نحرك الساكن، فخانتنا عضلاتنا التي كنا بها نبطش، وعجز مالنا عن رد الصحة إلينا، وعجز لساننا الذي كان

يشتم هنا وهناك ويهين الضعفاء والمساكين عن الحركة، نحن الآن جثة، جثة هامدة مازالت الروح عالقة فيها، شريط الذكريات البئيسة تمر بين العينين وتدمي القلب، الندامة تقتل الروح، والدموع لا تكف عن النزول، إنها ساعة الحقيقة التي كنا نتغاضى عن رؤيتها حاجبة عنا ضوء الشمس، إنه العقاب الذي يأتي من جنس العمل، فمهما بدا الظالم قويا ستكون حتما نهايته بقدر ارتفاعه، الظالمون حتما يموتون ميتة الكلاب.

وهم المتكبرون

توقف عن التعامل بكبرياء وتكبر، توقف عن الشعور كونك فوق الآخرين، توفق عن التعامل بتعال. كونك مثقف هذا لا يعني أنك فوق الجميع، فالعلم الذي لا يُقوِّمك هو علم فارغ، فالعلم الذي لا يهذب سلوكك ويزيد من حكمتك وتبصرك هو علم مفروغ المحتوى، مهما تعلمت وتفقهت ونهلت من العلوم تظل شخصا ناقصا لا يفقه من العلوم إلا قليلا، كونك أمي لا يعني أنك في الدرجة السفلى، فلا تعامل نفسك باحتقار.

قد تمتلك وعيا وحكمة وتبصرا غاب عن المثقفين، المتكبرون أشخاص فارغين لدرجة تثير السخرية، أشخاص يشبهون البالونة كلما أصابتها شوكة رجعت لحجمها الطبيعي، أشخاص مرضى نفسانيين يحتاجون لمتابعة طبية، أسوأ الأمراض الخبيثة التي قد تصيب الإنسان هي التكبر، التكبر ممن!؟ وَهْمٌ يلاحق النفس ويشعرها بأهميتها القصوى، لترتفع وتترفع عن الآخرين، وهم يجعل الشخص يشعر بأنه يمتلك كل شيء، ويرتفع فوق كل شيء.

لي صديق فقد كل شيء بسبب التكبر المبالغ فيه، فقد علاقاته فقد أحباءه، وفقد أصدقاءه عمله، وفقد احترام نفسه، بقي وحيدا عاريا كما خلقته أمه، بسبب وهم، بسبب الآنفة المرتفعة، الناس لا يحبون المتكبرين، الناس يكرهون المكتبرين كرها شديدا لا أحد يحتملهم.

القلق يقتل الحياة

تقلق الإنسان أشياء لم تحدث بعد، بل إنها لن تحدث أبدا، ذاك الوهم الذي يلاحقنا، فنصوغ سيناريوهات في أدمغتنا بعيدة كل البعد عن الحدوث خلال أربعين ساعة من الآن أو بعد أيام، ذلك الخوف والوهم الذي يقيد حركتنا فيجعلنا عاجزين عن العيش كأشخاص عاديين، ويغيب ابتسامتنا ويجعلنا تحت رحمة دوامة أفكار تغتالنا ببط، الخوف ممن..؟ الخوف من المجهول الخوف من اللاشيء..

إن الاعتقاد بأن شبحا يدخل غرفتك كل ليلة، هو اعتقاد سيصير يقينا إن أنت تركت لنفسك فرصة أن تصدق هذه الكذبة، وسيلازمك الخوف كلما حل الليل، وسترى الشبح يدخل غرفتك من النافذة متسللا إلى الغرفة، في حين أن ذلك الشبح ليس إلا وهم صدقته فعاش فيك.

وإن الاعتقاد بأنك لن تنجح في مباراة توظيف معينة واستسلامك لأمر معين، وأن كل الأماكن محجوزة، وأنك لن تضيع وقتك في المذاكرة والمراجعة على اعتبار أنها

مضيعة للوقت فقط، لأن من يدفع أكثر سيجد له مكان؛ سيجعلك هذا الأمر تعيش في نفس الدوامة دائما ولن تتقدم في حياتك، وستضيع الكثير من الفرص التي كان من الممكن أن تنقض عليها، صحيح لا أحد ينكر الزبونية والمحسوبية في التوظيف لكن ليس هناك تعميم، واستسلامك لهذه الفكرة هو وهم يجعلك تتخبط في نفس المكان، دون أن تحرز أي تقدم.

الفعل يجب أن يوازي الطموح، هكذا يجب أن يفكر الإنسان، إن جل ما نعشيه في حياتنا من بؤس وحنق واكتئاب وقلق وحياة سيئة للغاية؛ هي نتاج أفكارنا، أفكارنا السلبية جدا.

قبل أن تعطي حكم قيمة إسمع

أحيانا يمر المرء بلحظات انفعال، لحظة لا يريد فيها رؤية أحد، أو أن يتكلم مع أحد، حالة نفسية تجتاح كل واحد منا في لحظة من اللحظات حينما يشعر المرء بضيق مفاجئ، أو تكون هنالك مشاكل أو أزمة معينة، وعلى الطرف الآخر أن يقدر مثل هاته الحالات ويعرف كيف يتصرف معها بحكمة وتبصر، وغالبيتنا نفشل في فهم مثل هكذا حالات، ونعطي أحكاما قيمية يحكمها التسرع والاندفاعية.

لقد أحسست اليوم بضيق مفاجئ، لم يكن لدي استعداد لكي ألتقي أحدا، ولم أكن في مزاج جيد كي أسمع ثرثرة أحد، لكن الطرف الآخر لم يبحث عن الأسباب الحقيقية التي جعلتني أغلق هاتفي ولا أرد على الرسائل، بل احتكم لهواجسه وخواطره الداخلية، وحذف رقمي بسرعة من هاتفه، بل وأنه حظرني من الاتصال به، وحظرني من مواقع التواصل الاجتماعي كلها، دقائق معدودة كانت كفيلة بأن تزيل كل الأقنعة وتظهر لي مدى هشاشة العلاقات التي ظنناها صادقة ومتينة، الحقيقة الغائبة التي تظهر في لحظة من أسوإ لحظاتنا.

إننا لا نبحث عن الأسباب الحقيقية التي تجعل شخصا ما يتصرف على نحو معين، وإنما نترك الفرصة لخواطرنا واندفاعيتنا وعواطفنا لتأخذ بزمام الأمور، ولتعطينا في النهاية تصرفا فجا للغاية، وغالبا في جميع الأحوال يكون خاطئا، بدل أن نحتكم للعقل والبصيرة والحكمة ونضع احتمالات كثيرة من الممكن أن تكون أقرب للحقيقة.

لماذا لا نكون صرحاء مع أنفسنا ومع الآخرين! كلما كان الأمر غامضا إلا وبادرنا للحوار بأسلوب محترم، بغية التوضيح وكشف كل الحقائق بدل أن نظل في شك ووسواس ينخرنا من الداخل، لتمضي كل العلاقات نحو منحى واحد حتى النهاية.

الوهم فقط في عقولنا

ينتهي بك الحال أحيانا في غرفتك الصغيرة، تقذف كل حاجياتك برجليك وتمزق كل الصور المعلقة على الحائط، ثم بعد أن تتعب ترتمي على السرير كطفل صغير لا تجد أي عزاء غير أن تبكي بشدة، وتشعر كأنك نقطة صغيرة في هذا العالم لا تُحدث أي فرق، لا أحد يسمع بكائك، لا أحد يشعر بك، لا أحد يهتم لكل معاركك الطاحنة، أنت لا شيء، لا شيء تماما، فتشعر بحنق وضيق شديد كأن بأحدهم يريد أن يخنقك، ويصير الموت بعيدا من أن يخطفك، لأنه لا يخطف فجأة المستعدين للموت واليائسين من الحياة، لأنه يعلم استعدادهم المبكر للموت وهو لا يريد أن يأخذ روحا ميتة، الموت فقط يخطف الخائفين جدا الذين يهابون فكرة الموت، الذين يمتلكون المال الكثير جدا، الذين يكرهون الموت جدا، وأنت تبكي على سريرك يستحضر ذهنك فكرة مجنونة بأن تخرج من البيت، متوجها نحو البحر، تشتري في الطريق المكسرات، وتمضي للبحر، تجلس على صخرة تأكلها وأنت تنظر للبعيد، حيث ترمق قاربا يقل العديد من الشباب نحو بلاد أخرى، مخاطرين بحياتهم من أجل أحلام وراء

البحر، ويختفي القارب فجأة، تنهض مسرعا نحو المياه حتى يصير المياه تدييك في تصاعد لتغرق رأسك، فتصرخ بأعلى صوت:

ـ لقد تجاوزت مخاوفي، رباه لقد فعلتها، لا أكاد أصدق ! واستطعت أخيرا أن أقف في وجه البحر، بعدما كنت أخشى أن يلامس الماء قدمي.

نبذة عن المؤلف

أشرف الزبيري.

الجنسية : مغربي.

حاصل على إجازة في القانون الخاص.

أعمال سابقة:

– سبق وأن نشرت له عدة قصص أبرزها" لن أحيد عن الصراط "عن دار ببلومانيا في كتيب جماعي.

– مسابقة من وحي الموقف ببلومانيا.

– نشرت له قصة "الرغبة المجسدة في الانتقام" عن "دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني" إلكترونيّا بكتاب "قصص وحكايات".

دار
قصص وحكايات
للنشر
الإلكتروني